

شهادة مؤرخ مصري عن التعليم العالي

وحاضرة أبها في منطقة عسير

خلال عقد من الزمان

(١٤١٣-١٤٢٢هـ / ١٩٩٢-٢٠٠٢م) (*)

أ.د. وديع فتحي عبد الله الشحات

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، لغيثان بن جريس

(الطبعة الاولى)(الرياض: مطابع الحميضي ، ١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م)(الجزء

العشرون)، ص ٢١٩-٢٣٤.

٥. شهادة مؤرخ مصري عن التعليم العالي وحاضرة أبها في منطقة عسير خلال عقد من الزمان (١٤١٣.١٤٢٢هـ / ١٩٩٢.٢٠٠٢م). بقلم أ.د. وديع فتحي عبدالله الشحات^(١).

م	الموضوع	الصفحة
أولاً:	مقدمة	٢١٩
ثانياً:	حياتي العملية في حاضرة أبها (أستاذاً جامعياً)	٢٢١
ثالثاً:	حياتي الشخصية في حاضرة أبها (بعيون مصرية)	٢٢٩
رابعاً:	خلاصة القول	٢٣٤

أولاً: مقدمة :

شرفني الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس أن طلب مني المشاركة في تسجيل مدونة علمية عن مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير، ولا يفوتني القول بأن سيادته هو أحد رجال العلم في عسير، وأفتخر بأنني تشرفت بمعرفته عن قرب على المستوى العلمي والإنساني، وما زال هذا التواصل مستمرًا حتى الآن. عرفته مؤرخًا وباحثًا يفتوح في المصادر، نموذجًا للصبر والصلابة، شغوفًا بالكتابة الوثائقية، وأقول إنه فخر لأهل الجنوب وتهامة والسراة.

وبقدر ما أحسست من غبطة لاختياري للمشاركة في هذا العمل؛ أحسست بأنه ليس من اليسير كتابة وريقات محددة عن تجربتي في أبها، سواء في جامعة الملك سعود فرع

(١) الدكتور وديع فتحي من مواليد الإسكندرية في جمهورية مصر العربية عام (١٩٤٩م). درس مراحل تعليمه المبكر في الإسكندرية. ودرس درجاته الجامعية والعليا (ليسانس، والماجستير، والدكتوراه) في التاريخ بجامعة الإسكندرية، وحصل على درجة الدكتوراه عام (١٩٨٧م). عمل مدرسا مساعدا في كلية الآداب بجامعة بنها عام (١٩٨٢م)، واستمر في الكلية حتى حصل على الأستاذية في الجامعة نفسها عام (٢٠٠٨م). وهو أستاذ متفرغ بقسم التاريخ في جامعة بنها منذ عام (٢٠٠٩م) حتى الآن (١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م). شارك في العديد من اللقاءات والندوات والمؤتمرات في جمهورية مصر العربية وفي المملكة العربية السعودية. كما شارك في الكثير من اللجان العلمية والإدارية في جامعة بنها، وفي فرع جامعة الملك سعود بأبها، وجامعة الملك خالد (المملكة العربية السعودية). أشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه داخل مصر وخارجها. نشر حوالي عشرين بحثًا وكتابًا، منها: (١) الهجوم البيزنطي على دمياط عام (٨٥٢م) رؤية جديدة للصراع البحري البيزنطي الإسلامي في القرن التاسع الميلادي. مجلة كلية الآداب، جامعة بنها. العدد (١١)، ج ٢ (٢٠٠٤م). (٢) العلاقة بين الدولة والكنيسة في عصر نقضور الأول (٨٠٢.٨١١م). مجلة المؤرخ المصري، كلية الآداب جامعة القاهرة، العدد (٢٨). (٢٠٠٥م). (٣) " الأمير الناثر شمس الدين أقوش البرنلي (المتغلب على حلب) بين المماليك والمغول ". مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، العدد (١٢) (٢٠٠٥م). (٤) المؤرخ البيزنطي ثيوفيلكت سيموكاتا من واقع مؤلفه (التاريخ)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (١٩٩٦م). (٥) بين نطة ومسلمو جنوب إيطاليا وصقلية في عهد الإمبراطور باسيل الأول المقدوني، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٢م. (٦) العلاقات السياسية بين بين نطة والشرق الأدنى الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، (١٩٩٠م). (ابن جريس) .

أبها وذلك في الفترة من (١٩٩٢م) حتى عام (١٩٩٨م)، ثم جامعة الملك خالد من عام (١٩٩٨م) حتى عام (٢٠٠٢م)، وذلك بعد صدور قرار إنشاء جامعة الملك خالد من خلال ضم فرعى جامعة الملك سعود، وجامعة الإمام محمد بن سعود في جامعة جديدة ناشئة وهي جامعة الملك خالد. وبناءً على ذلك فقد عشت مدة إقامتي في أبها بالمملكة العربية السعودية في جامعتين مختلفتين من حيث الفكر والأسلوب، ومن حيث الإدارة أيضاً، وهو ما ساهم في تجربة حياتي التي عشتها على مدار هذه السنوات العشر. والحقيقة أنني وضعت عنواناً لشهادتي ووصفتها بأنها تجربة حياة عشتها خلال هذه السنوات، وإذا كنت أحاول الاختصار فإن تفصيلات هذه التجربة (الشهادة) تحتاج إلى الكثير والكثير من الصفحات^(١).

قبل أن أسجل تجربتي التي عاصرتها عن مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير. أجد لزاماً عليّ أن أوضح المنهجية والحدود التي اخترتها لتسجيل هذه الشهادة وهي على النحو التالي:-

أولاً: أن هناك من سبقني في الحديث عن مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير، وكانوا من أصحاب القرار ولديهم الكثير من التفاصيل التي تفوق ما لديّ، لذا فضلت أن يكون حديثي بصفتي أحد الذين شاركوا في تنفيذ رؤية ورسالة المملكة العربية السعودية في مجال التعليم.

ثانياً: إنني جئت (أستاذاً) للعمل في مجال التعليم العالي، وجئت أيضاً (إنساناً) إلى هذه البلاد، أثر وتأثر على المستويين العملي، والإنساني. لذا لم يكن من الإنصاف أن أتحدث عن جانب دون آخر.

ثالثاً: أن شهادتي تأتي من أستاذ مصري الجنسية، مسلم الديانة، عشق هذه البلاد قبل أن يأتيتها، وأحبها بعد أن عاش فيها، وعاد إلى بلاده بهذا الحب، والآن يسجل شهادته مؤرخاً متأملاً.

رابعاً: أن ما رأيته في هذه البلاد يوم مقدمي؛ مختلفاً عما شاهدته يوم عودتي. ولم يكن من المنصف أن نغفل دور الجامعة بشكل خاص والتعليم بشكل عام في إحداث هذه النقلة التي أتحدث عنها.

وأخيراً فإذا كنت قد عشت هذه السنوات في رحاب هذه البلاد الطيبة، سفيراً لنفسي، وبلادي، ولجامعتي. وأصبحت بعد عودتي عاشقاً لهذه البلاد متمنياً لها السلامة والازدهار.

(١) نعم أرسل لي الدكتور وديع ورقة تحت العنوان الذي ذكره أعلاه، لكن بعد قراءة شهادته فضلت أن تكون هذه الشهادة تحت العنوان المدون في هذه (الورقات المنشورة في هذا السفر). (ابن جريس).

وخلاصة ما تقدم فإنني سأسجل تجربتي في مسيرة التعليم العالي في منطقة عسير، جنباً إلى جنب مع تجربتي الحياتية، ومشاهداتي للنهضة التي رأيتها ترتفع في عسير بخطى ثابتة حتى أصبحت منطقة يشار لها بالبنان.

تعاقدت عام (١٩٩٢م) الموافق (١٤١٣هـ) مع جامعة الملك سعود فرع أبها، أستاذاً مساعداً - بكلية التربية جامعة الملك سعود تخصص العصور الوسطى. وتم التعاقد معي من خلال الأستاذ الدكتور عبد الوهاب بابعير، الذي استقبلني في الملحقة الثقافية بالقاهرة مرتين، وانتظاراً لإنهاء الإجراءات الإدارية بجامعة، وإجراءات الحصول على تأشيرة الدخول إلى المملكة العربية السعودية، كان لزاماً علي استكشاف كل ما يتعلق بأبها ومنطقة عسير من الناحية الجغرافية والتاريخية والتعليمية للتعرف على ما هو قادم بالنسبة لي. فقرأت العديد من الكتب المتخصصة، ووجدتها تطلق على مدينة أبها أسماء عدة منها، العذراء البهية، وعروس الجبل، وسيدة الضباب، وجنة المصايف، وسويسرا الشرق. حيث تعد واحدة من أبرز المدن في المملكة العربية السعودية^(١).

كان أكثر ما لفت نظري قراءة عن جغرافية أبها أن مساحتها تمتد أكثر من (٥٠) كم^٢، وتحف بها سلاسل الجبال من معظم الجهات. ومن أهم سماتها ارتفاعها عن مستوى سطح البحر بنحو (٢٢٠٠) متر تقريباً، وتنوع ظروفها، لذا تنوعت محاصيلها الزراعية.

وقد تسبب هذا الارتفاع وموقعها الجغرافي في أن المدينة يغلب عليها المناخ المتعدد والمتغير والقاسي نسبياً؛ حيث تكسو الثلوج قممها الجبلية في أواخر فصل الخريف ومطلع فصل الشتاء، ويكون ربيعها ممطراً دائماً، أما فيما يتعلق بفصل الصيف فتستقبل الأمطار نظراً لارتفاعها فوق قمة سلسلة جبال الحجاز. وتأثرها بالرياح الموسمية الصيفية، وقد أثر هذا المناخ في تمتعها ببيئة نظيفة، يكثر بها الغطاء النباتي؛ وتتمو فيها الكثير من النباتات والفواكه. والحقيقة أن ما قرأته عن عسير بشكل عام وعن مدينة أبها بشكل خاص قبل أن أتى إليها وجدته مطابقاً للحقيقة على أرض الواقع.

ثانياً: حياتي العملية في حاضرة أبها (أستاذاً جامعياً)

وصلت إلى أبها مساء الجمعة الموافق (٢٥) سبتمبر عام (١٩٩٢م) في رحلة بدأت من الاسكندرية إلى القاهرة، ثم إلى مطار جدة، ثم إلى مطار أبها، تميزت بالسلاسة مما أعطاني الانطباع الطيب بحسن البداية، والفأل الحسن، ولم يكن يقلقني إلا ترك أولادي في مصر. وقد استقبلني في المطار بعض الزملاء وكان من بينهم زملاء في

(١) هذه الحقيقة فمدينة أبها من المدن الجميلة في طبيعتها، وتركيبها سكانها، وعاداتهم وأعرافهم. للمزيد انظر، غيثان بن جريس. أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (الرياض: مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م). (ابن جريس).

جامعة الإمام محمد بن سعود، واصطحبوني واستضافوني لحين الاستقرار على مكان السكن، وإنهاء إجراءات الإقامة، فسكنت في منطقة الطبخية وهي من أشهر مناطق وسط مدينة أبها.

وفى اليوم الثاني اصطحبني أحد الزملاء إلى كليتي الجديدة كلية التربية جامعة الملك سعود فرع أبها، وهي تقع على الحزام الدائري، وقد عرفت بعد ذلك أن المبنى الذي كان مقراً لكلية التربية هو مبنى مستأجر من السيد سليمان بن حبتري العسيري. واستقبلني عميد الكلية الدكتور عبد الوهاب بابعير الذي هنأني بسلامة الوصول، وكان رجلاً بشوشاً، مصري الطابع، شديد الذكاء، وبعد ذلك استقبلني الدكتور غيثان بن جريس رئيس قسم التاريخ مرحباً و متمنياً لي حياة طيبة بين جدران قسم التاريخ بالكلية. وبدأت إجراءات استلام العمل داخل الكلية، التي استكملتها في إدارة الجامعة. وأشهد أيضاً أن كل هذه الأمور تمت بسلاسة؛ أراحتني نفسياً وزادت من تفاؤلي كتجربة حياة جديدة.

كنت أول من تعاقدت معه كلية التربية جامعة الملك سعود فرع أبها من (المصريين)؛ متخصصاً في تاريخ العصور الوسطى^(١). وكانت مقرراتي التي كلفت بتدريسها هي تاريخ الدولة البيزنطية، وتاريخ أوروبا في العصور الوسطى، وتاريخ الحروب الصليبية، هذا علاوة على تاريخ الشرق الأدنى القديم، ومنهج البحث، وتاريخ المملكة بعد ذلك. ومن حسن حظي أن قسم التاريخ في هذه الكلية قد ضم كوكبة من مدارس علمية شتى، فمن مصر يوجد الدكتور سيد أحمد يونس، والدكتور عصام ضياء الدين، ومن السودان سر الختم العراقي، ومن الأردن صالح أبو دياك، والدكتور شكري التاجي.

والحقيقة أن هذا التنوع في جنسيات أساتذة قسم التاريخ بكلية التربية، كان موجوداً أيضاً في مختلف أقسام الكلية، هذا علاوة على الأشقاء، أصحاب المكان، أبناء المملكة العربية السعودية، خاصة بعد عودة المبتعثين من الخارج. فضلاً عن أوائل الخريجين، من السعوديين، الذين تم تكليفهم معيدين بقسم التاريخ وأتذكر منهم سعيد مشبب القحطاني، وعبد العزيز أبو داهش القحطاني^(٢).

(١) هذه من وجهة نظرك يا دكتور وديع، وحسب معرفتك، والقسم بدأ مع نشأة كلية التربية عام (١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م). وهناك أساتذة سابقون تعاقبت معهم الكلية، وكان أولهم الأستاذ الدكتور علاء الدين السامري من الجنسية العراقية، ويحمل الجنسية الأمريكية، وذلك في عام (١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، وبعده أيضاً أستاذ عراقي أيضاً يحمل جنسية أمريكية أيضاً، واسمه (هاطور...) خلال العقد الأول من القرن (١٥هـ/ ٢٠م). معاصرة الباحث لتلك الفترة. للمزيد عن قسم التاريخ في كلية التربية بفرع جامعة الملك سعود أبها انظر غيثان بن جريس. دراسة عن قسمي التاريخ بفرع جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود في أبها (١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م). (جدة: ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) (٢٠٥ صفحة). للمؤلف نفسه القول المكتوب في تاريخ الجنوب (١٤٢٢هـ/ ٢٠٢٠م). (الجزء التاسع عشر) (القسم الرابع). انظر إلى هذين الكتابين ورقياً، وأيضاً إلكترونياً في موقعي الرسمي (Prof-ghithan.com) (ابن جريس).

(٢) هذا القسم يتبع اليوم (١٤٤٢هـ/ ٢٠٢٠م) جامعة الملك خالد، وتم توحيد قسم التاريخ عند البنين

وفى اليوم الأول من استلام العمل وجدت في أحد أدراج مكتبي (وهو المكتب الذى كان يشغله من قبل أحد الأساتذة السودانيين وهو الدكتور محمد الأمين) دليل كلية التربية في أبها الصادر عام (١٤٠٠هـ)، فعرفت أن هذه الكلية أنشئت عام (١٣٩٦هـ) وتقرر أن تكون تابعة لجامعة الملك سعود بالرياض، وبدأت في استقبال الطلاب عام (١٣٩٧هـ) فكانت البداية (٤٢) طالبا، وتضاعفت الأعداد عاما بعد عام. وقد سجل هذا الدليل أيضا بيانا بعمداء هذه الكلية منذ نشأتها فكان العميد الأول لها مزيد إبراهيم المزيد، ثم عبد اللطيف حسين فرج، ثم عبد الوهاب صالح بابعير، ثم جاء بعده محمد بن على آل هيازع الأسمرى .

ومن الأسبوع الأول في حياتي العملية الجديدة شاهدت وتعرفت على مفردات جديدة عن أشكال السلام والمصافحة بين زملاء السعوديين، وبين الطلاب^(١)، ومن أهم ما أثرى تجربتي في أبها؛ ركيذة أساسية أضعها تحت عنوان التعرف على ثقافة مختلفة أثارت إعجابي وتحديدا المصطلحات التي كانت تتردد على مسامعي من طلابي، ومن بينها (على خشمي)، (بيض الله وجهك)، (تكفى)، (الله يرحم والديك)، (طويل العمر) وغير الألفاظ هناك أشكال من السلام والمصافحة كانت تثير الإعجاب والانتباه أيضا، فهناك من يسحب الرأس ليطلع قبله عليه، أو أن يخلع العقال ليضعه بين يديك طلبا للاعتذار، وهى كلها سلوكيات تعكس قدرا عاليا من الإعزاز والإجلال والتقدير.^(٢)

ولم تمر شهور قليلة إلا وقد أحسست أن هناك تجربة جديدة في حياتي أعيشها بين مجموعة من السادة العلماء الأجلاء فلا يمكن أن أكتب تجربة حياتي خلال هذه الفترة الجميلة من عمري دون أن أسجل هذا القدر الجميل من التنوع في العلاقات بين زملاء قسم التاريخ بشكل عام، وأيضا بين زملاء في الكلية، فكانت معظم هذه العلاقات تقوم على التعاون وعلى المشاركة الإنسانية، فقد كثرت اللقاءات العلمية داخل القسم وخارجه، واللقاءات الاجتماعية داخل الكلية وخارجها، ولقاءات تناول العشاء خاصة عندما نذهب إلى أجزاء من تهامة عسير، ومن أمانة القول بأن هذه اللقاءات والعلاقات قد ساهمت إلى حد كبير في تعزيز أو أواصر الصداقة بيننا. كما زادت من عمق

والبنات في قسم واحد، ويعمل فيه اليوم حوالي أربعين عضو هيئة تدريس، ومن ضمنهم عضوات وأعضاء عديدون، يزيدون عن العشرين، من جمهورية مصر العربية والسودان. المصدر: معاصرة الباحث عام (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). (ابن جريس) .

(١) تاريخ السلام والمصافحة في جنوبي البلاد السعودية له الكثير من الحركات والعبارات والمتغيرات، وهو موضوع يستحق أن يدرس في هيئة كتاب أو رسالة علمية. (ابن جريس) .

(٢) يا دكتور وديع هذه البلاد (السروات وتهامة) موطن قبائل عربية أصيلة، وهذه العادات ورثوها من الآباء والأجداد، وما زالت موجودة وممارسة بشكل كبير في طول وعرض مناطق جنوب المملكة العربية السعودية. (ابن جريس) .

التعارف بين أنماط الشخصية العربية وعاداتها وتقاليدها. ومن الأشياء التي انطبعت في ذاكرتي ومازالت عالقة بي حتى الآن ما لمستته خلال شهر رمضان والتقاليد الراسخة خلاله في استضافة الضيوف، وفي إفطار صائم بشكل كان يدعو إلى الإعجاب في ظل تنافس المتنافسين من السعوديين ومن المصريين أيضاً لاستضافة الآخرين خاصة من المقيمين العزاب^(١).

كنت حريصاً على فهم أهمية كلية التربية بالنسبة للتعليم في المملكة بشكل عام وفي عسير بشكل خاص. فاهتمت المملكة العربية السعودية بكليات التربية وذلك لعدد من الأسباب منها: (١) تخريج الأعداد الكافية من الشباب السعودي المؤهل لسد احتياجات المدارس المتوسطة والثانوية في مختلف التخصصات^(٢). (٢) إعداد البرامج التدريبية للعاملين في مراحل التعليم العام. (٣) التركيز على البحوث التي تعالج المشكلات التربوية والنفسية والعلمية في منطقة الجنوب السعودي. (٤) تأهيل العاملين في الهيئات الحكومية ورفع مستوى أدائهم من خلال إقامة الدورات التدريبية المتخصصة لهم. ولأن كلية التربية ذات طبيعة خاصة، فهي ترتبط بعلاقة وثيقة بالتعليم العام في كافة مراحلها؛ من أجل إعداد خريج يعمل مدرساً تربوياً قادراً على المساهمة في النهضة التعليمية للمملكة بشكل عام ومنطقة عسير بشكل خاص ولأبها على وجه التحديد. وعلى ذلك كان المرور على المدارس أحد أهم مظاهر الزيارات الميدانية والتعامل المباشر بين التعليم العالي والعام.

وعن نشأة كلية التربية، فقد أنشئت عام (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م) لتكون أول كليات فرع جامعة الملك سعود فرع أبها في عسير. وبدء مقراتها ومبانيها على طريق أبها الخميس، ولم يكن بالكلية عند تأسيسها إلا سبعة أقسام أكاديمية هي: التاريخ، والجغرافيا، واللغة الإنجليزية، والرياضيات، والأحياء، والكيمياء، والفيزياء، وفيما بعد تم إلحاق أقسام أخرى مثل: قسم المناهج وطرق التدريس، وقسم التربية، وقسم علم النفس. انتقلت (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م) إلى مباني سليمان بن محمد بن حبتل الواقعة على الحزام الدائري بأبها وتعاقب على عمادة كلية التربية كل من: - (١) الدكتور عبد الوهاب بن صالح بابعير من عام (١٤٠٩هـ) حتى (١٤١٦هـ). (٢) الدكتور محمد بن علي آل هيازع من عام (١٤١٦هـ) حتى عام (١٤١٩هـ). أما وكلاء الكلية فهم: - (١) الدكتور

(١) اعلم يا دكتور ودع أن عندك تفاصيل أكثر في حياة الناس الاجتماعية في بلاد عسير من خلال بقائك بينهم حوالي عشر سنوات، أرجو أن تدون مذكراتك في هذا الجانب، وأنا على استعداد لنشرها تحت اسمك، وفقك الله. (ابن جريس).

(٢) هذا فعلاً ما حدث، فأغلب المدرسين في عموم منطقة عسير خلال الأربعين عاماً الماضية من خريجي كلية التربية بأبها وكلية المعلمين، وكليتي الشريعة وأصول الدين. واللغة العربية في أبها. (ابن جريس).

محمد بن علي آل هيازع. (٢) الدكتور محمد بن علي بن ربيع. (٣) الدكتور محمد بن سعيد الشهراني^(١).

والحقيقة دون الخوض في تفاصيل وإحصائيات، بعضها يتعلق بعدد الطلاب المقيدون في الكلية، أو عدد الخريجين، أو أعداد أعضاء هيئة التدريس. فإن الكلية شهدت توسعا رأسيا وأفقيا، فقد وصلت عدد الأقسام إلى حوالي عشرة أقسام أكاديمية علمية وأدبية، وتعددت المراكز البحثية والتدريب والإرشاد والمتاحف والمختبرات.

وفى عام (١٩٩٨م الموافق ١٤١٩هـ) بدأ الجزء الثاني من تجربتي العملية، فقد تمت الموافقة علي دمج فرع جامعتي الإمام محمد بن سعود الإسلامية، والملك سعود (الرياض سابقا) في جامعة واحدة تحت مسمى جديد هو جامعة الملك خالد، صادر بقرار ملكي عام (١٤١٩هـ/١٩٩٨م). ومن الجدير بالذكر أنني كنت شاهداً على هذا اليوم الذي تم فيه إعلان نشأة هذه الجامعة الجديدة، فقد سمعت من الذين حضروا الحفل أن المنظمين أعلنوا أن الجامعة الوليدة سوف يطلق عليها اسم جامعة الأمير عبد الله، لكن الأمير عبد الله بن عبدالعزيز ولي العهد آنذاك نهض من مكانه، وتقدم وأمر بأن يطلق على الجامعة الجديدة اسم جامعة الملك خالد، في لفتة إنسانية وعرفانا بالملك خالد بن عبدالعزيز، ورغم أن الجامعة الناشئة بدأت بعدد صغير من الكليات، وعملت الجامعة الجديدة على إعادة هيكلة نفسها وأصبحت في سنوات تضم (١٤) كلية؛ معظمها كان في أبها، والبعض كان في خميس مشيط وبيشة. ومن المؤكد أن ذلك يرجع إلى الهمة التي بدأت بها الجامعة خطواتها الأولى على يد مديرها الأول الدكتور عبد الله بن محمد الراشد؛ حتى أنه يمكن القول أن جامعة الملك خالد حملت لواء النهضة التعليمية في كل أرجاء منطقة عسير وعموم جنوب المملكة العربية السعودية على مستوى كل المقررات والبرامج المتنوعة في كافة أرجاء البلاد.^(٢)

وهذه الجامعة الوليدة سرعان ما حققت مكانة متميزة بين جامعات المملكة بقيادة مديرها الأول الأستاذ الدكتور/ عبد الله الراشد الذي بدأ إدارته للجامعة بما لديه من إمكانيات مكنته من بعض التعديلات في مواقعها الجغرافية، وهياكلها الإدارية والأكاديمية.^(٣) فتم أولاً استئجار عدد من المباني في أبها الجديدة لتكون مقراً لإدارة

(١) أشكرك يا دكتور وديع على هذا الرصد، الذي عاصرته معك خلال العقد الثاني من القرن (١٥هـ/٢٠م). (ابن جريس).

(٢) ما ذكرته يا دكتور وديع هو الحقيقة، فجامعة الملك خالد هي صاحبة الريادة في توسيع ونشر التعليم العالي في مناطق عسير، وجازان، ونجران. للمزيد انظر صفحات عديدة في موسوعة القول المكتوب في تاريخ الجنوب، الأجزاء (١٨، ١٩، ٢٠) (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). (ابن جريس).

(٣) للأمانة الدكتور عبد الله الراشد ومعه كوكبة من رواد التعليم العالي في منطقة عسير هم من بذلوا ما في

الجامعة بعد توسع هياكلها، كما قام بإنشاء العمادات المساندة مثل عمادة البحث العلمي، وعمادة الدراسات العليا، وعمادة شؤون المكتبات، وعمادة خدمة المجتمع والتعليم المستمر. أما بالنسبة للمباني القديمة للكليات فقد تركت في مواقعها التي تشغلها من قبل تأسيس جامعة الملك خالد، وتلك الكليات: (١) كلية الشريعة وأصول الدين، (٢) كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية وتقعان في الطرف الشمالي من مدينة أبها على الطريق الرئيسي (طريق الطائف). (٣) كلية الطب في حي النزهة الواقع إلى الجهة الجنوبية من وسط مدينة أبها. (٤) كلية التربية على الحزام الدائري.

وتوسعت مؤخراً آثار جامعة الملك خالد الإيجابية فأنشئت بعض الكليات في محافظات عسير، كما أشرفت على افتتاح عدد من الكليات في منطقتي جازان ونجران، وسعت جاهدة إلى تطوير الكليات المتنوعة في تخصصاتها في كل من نجران وجازان وبيشة، وذلك مما أهل تلك الكليات إلى أن تتحول إلى جامعات مستقلة في جازان وبيشة ونجران. وتم ابتعاث بعض أوائل الخريجين إلى أوروبا وأمريكا للحصول على الماجستير والدكتوراه، ثم عادوا وغالبيتهم يعملون في إدارات وأقسام مختلفة بالجامعة، ومنهم من أصبح على درجة أستاذ.^(١)

لفت نظري في أخريات سنوات تجربتي العملية في أبها مع جامعة الملك خالد، ثم من خلال ما سمعته عن هذه الجامعة بعد عودتي إلى بلادي، أن جامعة الملك خالد قد ساهمت بدورها المجتمعي المتميز على المستوى التعليمي والتربوي والبحث العلمي والدراسات العليا، وأصبحت جامعة يشار لها بالبنان كونها إحدى الجامعات الجيدة ليس داخل المملكة فقط، وإنما في العالم العربي أيضاً من خلال قدرتها التنافسية لخريجها في مجال سوق العمل. ومما لاشك فيه أيضاً أن مؤسسات التعليم العالي في منطقة عسير، سواء من خلال جامعة الملك سعود فرع أبها، ثم من خلال جامعة الملك خالد قد ساهمت في: (١) تحقيق نهضة مجتمعية داخل مجتمع أبها. (٢) تحقيق رواج اقتصادي عمراني في مدينة أبها. (٣) تحقيق نقلة نوعية حضارية للطلاب، فقد كانت كل من أبها وخميس مشيط بمثابة عالم جديد، لما وجدوه من مطاعم متنوعة وأسواق تجارية متميزة ومحلات للخدمات وخلافه. (٤) تحقيق التعاون العلمي والأكاديمي داخل المجتمع الجامعي بين الطلاب بعضهم البعض وبين الطلاب وأساتذتهم، فتطبيق نظام الساعات المعتمدة في جامعة الملك سعود قد فرض على الطلاب ضرورة تحمل المسؤولية، والتواصل بين الطلاب، والتواصل أيضاً مع المرشد الأكاديمي، مما حقق نوعاً

وسعهم، وعملوا بجد واجتهاد على نشأة وتأسيس ثم السير في بناء وتطوير جامعة الملك خالد. معاصرة الباحث لبدايات النشأة والتطور لهذه المؤسسة التعليمية العالية. (ابن جريس).

(١) تطور الجامعة وتمدها في مناطق عسير، وجازان، ونجران، سار بشكل جيد بعد مغادرتك أبها يا دكتور وديع، وكان لهذه الجامعة الفضل الكبير في نشأة الكليات الأولى في جازان، ونجران، وبيشة، التي تحولت فيما بعد إلى جامعات مستقلة. (ابن جريس).

من الانصهار والتعاون داخل شريحة كبيرة من المجتمع. وكانت الدراسة في جامعة الملك سعود بنظام الساعات التي يسجلها الطالب بنفسه، وأسابيع التسجيل والحذف والإضافة كانت أصعب على الطلاب من أسابيع الاختبارات ويجب على الطلاب البحث عن مواد وساعات، قبل أن تغلق الشعب، وتمتلئ بالطلاب، ويضطر للبقاء على ساعات قليلة طوال الفصل. (٥) أن هذه المؤسسات التعليمية في أبها قدمت العديد من خريجيها وأصبح لهم شأن كبير في مجالات الأعمال السياسية والاجتماعية والثقافية. (١)

لا يمكن الحديث عن التعليم الجامعي دون الإشارة إلى قيمة المكتبات الجامعية التي كان يتردد عليها طلاب الجامعة، وأبدأ بالحديث عن مكتبة كلية التربية التي امتازت باحتوائها على مراجع في جميع ألوان المعرفة باللغة العربية، وعدد من اللغات الأجنبية الأخرى، كما أنها تضم قسماً خاصاً بالدوريات العلمية العربية والأجنبية المتخصصة في العلوم المختلفة، وكذلك مجموعة من المخطوطات، وتضم أكثر من خمسين ألف مرجع وحوالي (١٠٠) دورية علمية متخصصة، كما تحتوى على (فيشات) لجميع الرسائل العلمية التي حصل عليها السعوديون. أما مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود فقد أسست هذه المكتبة عام (١٣٩٦-١٣٩٧هـ/٧٦-١٩٧٧م)، وهي تضم أكثر من تسعين ألف كتاب في مختلف العلوم والمعارف. وكانت هذه المكتبة تخدم كليتي الشريعة، واللغة العربية، لذا فقد زحرت بمجموعة جيدة من المصادر والمراجع الهامة في العلوم المتنوعة. وهذه المكتبة تعد المصدر الرئيسي لطلاب الجامعة وأساتذتها، لكن لا تخلو الأقسام في كلية الشريعة وأصول الدين أو في كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية من مكتبات صغيرة تخدم أعضاء كل قسم، وكان في كل كلية مركز بحوث يخدم الحركة البحثية لأعضاء هيئة التدريس في تلك الكليات.

وإذا كانت مؤسسات التعليم العالي قد تحملت مسؤولية بناء الإنسان من الناحية العلمية، واهتمت بأن يكون خريج هذه المؤسسات قادراً على المنافسة في سوق العمل. فقد اهتمت الدولة ببناء الإنسان السعودي في أبها فكرياً وثقافياً، لذا كان إنشاء المكتبات المختلفة أحد أهداف الحكومة في هذا المجال، ولعل من بين هذه المكتبات المكتبة العامة في أبها التابعة لوزارة المعارف ثم وزارة الثقافة، وتضم أكثر من عشرة آلاف كتاب في مختلف المجالات.

كان نادي أبها الأدبي أحد مراكز الأدب والثقافة والفنون التي دفعت عجلة الحياة الفكرية والأدبية، ليس في مدينة أبها فحسب وإنما في منطقة عسير وفي أنحاء المملكة بشكل عام. وقد افتتح هذا النادي في مبنى بحي الخالدية، في (١٤١٠هـ). وقد زرت هذا

(١) هذا كلام صحيح وأمل أن نرى باحثاً جاداً يدرس الآثار الإيجابية لمؤسسات التعليم العالي في جنوب المملكة العربية السعودية. (ابن جريس).

المبنى ووجدته يضم مكاتب لكل من: الرئيس، ونائب الرئيس، والشئون المالية، وصالة الاجتماعات، ولجنة النشاط، وأمانة السر، ومكتب الإدارة، والمكتبة، وصالة صغيرة تضم المكتبة الصوتية والمرئية، ومكتب لجنة الطباعة والنشر، ومكتب العلاقات والإعلام، وقاعة الملك فهد للمحاضرات، بالإضافة إلى المرافق العامة والسكن والحدائق المحيطة بالنادي ومواقف السيارات.^(١)

يُصدر النادي الملف الإبداعي الثقافى (بيادر)، وكان يُصدر مرة واحدة في العام، وبعد صدور أربعة أعداد منه أُجرى عليه بعض التحسينات، وتولى الإشراف عليه نخبة من أساتذة الجامعة، وأصبح يُصدر كل ستة أشهر، وتابعت صدوره حتى بلغ العدد الثالث عشر في عام (١٤١٥هـ)، وبعد إحلال اللجان المتفرعة من اللجنة العلمية، واستبدال ثلاث لجان بها، صار ملف بيادر من مهام لجنة الطباعة والنشر التي يتولى الإشراف العام عليها رئيس النادي، يليه رئيس التحرير ثم أعضاء هيئة التحرير، وأصبح صدور هذا الملف كل أربعة أشهر أي بمعدل ثلاثة أعداد في السنة. وقمت بنشر بحث فيه بعنوان صفحات من تاريخ الجهاد الإسلامي في شرق إيطاليا في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، مجلة بيادر السعودية، أبها - السعودية، العدد ١٧، (١٩٩٦م).

وسعت إدارة النادي إلى إنجاز أعمال عديدة، مثل عقد الأمسيات والمحاضرات والندوات العامة، وقامت بدعوة الأدباء والشعراء والعلماء من داخل المملكة وخارجها. ومن الإنجازات التي حققها النادي أن عمل على إحياء التراث الشعبي، وجمع بعض الآثار القديمة، وإقامة أفراح العيد والأمسيات الترويحية خلال موسم الصيف بالساحة العامة بأبها. كما أنجز النادي مسابقات ثقافية شملت القصة القصيرة، والمقالة والبحوث التاريخية والأدبية، وأدب الطفل، وحفظ القرآن الكريم وتجويده، والحديث النبوي الشريف، ورصد للفائزين جوائز تشجيعية، وكان محل تقدير المواطنين والمقيمين والمصطافين على حد سواء، واستقبل النادي العديد من الوفود الطلابية من جامعات المملكة ومدارس منطقة عسير، وقد قاموا بزيارة النادي والاطلاع على مكتبته وتم إهداؤهم مجموعات من إصدارات النادي المتنوعة، وأقام النادي معارض للكتاب في منطقة عسير، وقد حضرت معرضي عام (١٤١٦هـ) و(١٤١٧هـ)، وذلك بالاشتراك مع فرع جامعة الملك سعود، والإمام محمد بن سعود بأبها، واشتركت بها معظم دور

(١) أشكرك يا دكتور ودع علي هذا الوصف المختصر لمبنى النادي في الخالدية، والذي مازال حتى الآن (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م) مشغولا بنادي أبها الأدبي، وقد جرى عليه توسعات معمارية عما ذكرت. وقد أشرت إلى أن هذا المبنى تم افتتاحه عام (١٤١٠هـ/١٩٩٠م)، أما النادي الأدبي فقد تأسس في نهاية التسعينيات من القرن (١٤١٤هـ/٢٠٠٠م). وللمزيد انظر تقصيلات عن تاريخ النادي في كتاب: أبها حاضرة عسير (دراسة وثائقية) (١٤١٧هـ/١٩٩٧م). (ابن جريس).

النشر، والجامعات، والأندية الأدبية، وجمعية الثقافة والفنون، ومكتبة الملك عبد العزيز العامة، ومركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ثالثاً: حياتي الشخصية في حاضرة أبها (بعيون مصرية)

أما ما يتعلق بحياتي الشخصية التي عشتها في مدينة أبها عبر هذه السنوات (١٤١٣-١٤٢٢هـ / ١٩٩٢-٢٠٠٢م)، فقد عشت حياتي بعين المؤرخ الذي يرصد الشواهد والدلالات التي تحدث من حوله، واتضح لي ذلك في المنشآت (غير التعليمية) التي زرتها، أو رأيتها، أو ترددت عليها، وكان من بين الأماكن التي شاهدتها :-

١- مدينة الأمير سلطان بن عبد العزيز الرياضية:

تقع على بعد (١٩) كم من مدينة أبها، على مساحة (٢٠٠,٠٠٠م^٢)، وتشتمل على:-
 (أ) ملعب كرة القدم: يتسع لما يقرب من عشرين ألف متفرج، ذهبت إليه برفقة عدد من الأصدقاء، وشاهدت عدداً من المباريات أثناء فعاليات البطولة العربية. (ب) صالة مغلقة للألعاب: تضم ملاعب لكرة الطائرة، والسلة، والتنس، وكرة اليد، والجمباز، والكاراتيه، ورفع الأثقال، والإسكواش، وتتسع مدرجات الصالة لألف متفرج. (ج) حمامي سباحة. (د) ملاعب مكشوفة: لكرة السلة، وكرة الطائرة، وكرة اليد، والتنس، وغرف أخرى للخدمات اللازمة لهذه الملاعب. (هـ) ومقر بيت الشباب، ومسجد، ومواقف السيارات داخل المدينة خاص باللعبين والعاملين، وموقف آخر خارجها خاص بالجماهير.

٢- الصالة المغلقة بالخالدية، والساحة الشعبية:

هذه الصالة تستخدم في ألعاب كرة الطائرة، واليد، والسلة، والتنس، وغيرها من الألعاب الأخرى، ومن الجدير بالذكر أن هذه الصالة بها مقاعد تسع (٥٠٠) متفرج، وبها غرف خاصة بالإداريين والمدربين وغيرهم وفي الساحة الشعبية ملاعب لكرة الطائرة، والسلة، واليد، وكانت تقام في هذه الساحة نشاطات ثقافية، وترفيهية، وملاعب للأطفال.

٣- بيت الشباب بمدينة الأمير سلطان الرياضية بأبها:-

كان الهدف من بيت الشباب هو تشجيعهم على السياحة الداخلية فضلاً عن تعريفهم بوطنهم وزيادة معلوماتهم وإطلاعهم على المعالم الحضارية في بلادهم. والحقيقة أن هذه الأنشطة التابعة لرعاية الشباب في منطقة عسير شهدت تزايداً اقترن بتزايد نسبة إقبال شباب أبها على ممارسة الرياضة في هذه الملاعب، ولاحظت هذه الزيادة على مدار الفترة الزمنية التي عشتها في أبها.

وفي أهبأ عدد كبير من الحدائق والمنتزهات التي غطت مختلف أرجاء منطقة عسير، ويمكن القول بأن المباني الرياضية التي سبق الحديث عنها كانت من أجل بناء الإنسان، وهذه المنتزهات نشطت السياحة الداخلية، وزادت من وعى الشباب السعودي، وطلاب الجامعة، وتنمية معارفهم والتعرف على بلادهم، وساعد على ذلك تلك الطبيعة الساحرة والمعالم التاريخية والأثرية وأماكن التسوق المنتشرة في مدينتي أبها وخميس مشيط بفضل موقعها الجغرافي ومناخها الجذاب وتضاريسها الشيقة. ومن الحدائق والمنتزهات التي شاهدتها وزرت بعضها في حاضرة أبها، مثل:

أ. منتزه عسير الوطني

يعد منتزه عسير الوطني من أبرز معالم السعودية وأبها بشكل خاص، فهو أكثر المنتزهات زيارة سواء من داخل المملكة السعودية أو خارجها. ويمتد على مساحة تقدر بـ (٥) كم^٢، وهو محمية طبيعية خلابة، يمكنك من خلالها التعرف على بعض النباتات النادرة، وفصائل متنوعة من الحيوانات البرية. وبه مجموعة متنوعة من المرافق السياحية والترفيهية، كالملاعب، والمطاعم، وسوق صغير، ومتحف، ومركز للاستعلامات، ومجموعة من الفيلات والشقق السكنية؛ لراغبي الإقامة داخل المنتزه.

ب. السوده:

تبعد (٢٥ كم) من مدينة أبها، على ارتفاع (٣٠٠٠) متر عن سطح البحر، ويكسو قمم جبال السوده أشجار العرعر الكثيفة مكونة غابات طبيعية خلابة. واختيرت بعض المواقع كمطولات لمشاهدة المناظر الرائعة (بواسطة أجهزة مكبرة) لسهل تهامة والأودية والقرى المجاورة، ويمكن مشاهدة بعض الصخور المنحوتة ويرجع تاريخ بعضها إلى حقبة جاوزت (٣٠٠٠) سنة على حسب قول بعض الزملاء السعوديين من أبناء المنطقة.

ج. دلفان، ومنتزه أبو خيال :

تقع دلفان في الجنوب الشرقي من أبها وعلى بعد (٢٧) كم، وقد شقت الطرق الإسفلتية المؤدية إلى هذا المنتزه، وتزويده بالخدمات اللازمة لقضاء أوقات سعيدة للمتريدين عليها. ويقع منتزه أبو خيال على الطريق الدائري لمدينة أبها، وهو واحد من أجمل الأماكن السياحية في أبها، ويتميز بالمساحات الخضراء والنباتات وتوافر المطاعم الداخلية، وهو من الأماكن السياحية المتميزة للعائلات. وكم صحبت أولادي عند حضورهم إلى أبها لمشاهدة بعض تلك المنتزهات .

د. حديقة الأندلس، والجبل الأخضر، وسد أبها :

من أشهر حدائق أبها حديقة الأندلس، على طريق الأمير سلطان، فهي متنفس الشباب والأسر، وتعد تلك الحديقة الخلابة من أجمل المناطق السياحية في أبها للعائلات؛ لما تتمتع به من أجواء ساحرة، تجمع ما بين المساحات الخضراء على جنباتها،

وهذه الحديقة جذبت أهل أبها مثلما جذبت من جاء إلى أبها بغرض السياحة. والجبل الأخضر، جبل بديع يضئ ليل أبها، في أجمل لوحة طبيعية تقع عليها عين الإنسان. وهو جبل مخروطي الشكل، أطلق عليه هذا الاسم، نتيجة أنه يتم زراعته على شكل مدرجات، يتم إضاءتها ليلا، فيشع منه اللون الأخضر المبهر. والجبل الأخضر الآن في رأيي يعد من أهم عوامل الجذب السياحي داخل مدينة أبها، وتم تزويده بكافة المرافق السياحية. والجدير بالإشارة أن هذا الجبل ذا السمة الجمالية الخلابة يقع على قمة جبل ذرة في وسط مدينة أبها، وهي أعلى نقطة في المدينة ومنها يمكن رؤية جميع أنحاء المدينة، وسد أبها لم يكن فقط مجرد سد لتخزين المياه، فقد كان أيضا أحد المعالم السياحية بالمنطقة، ويقع السد عند الطرف الغربي لمدينة أبها. وتعد بحيرة سد أبها من أجمل وجهات السياحة، وتقع المنطقة المحيطة بها بالحدائق، والجلسات العائلية، ذات الإطلالة الرائعة على بحيرة السد.

(* وكان من دواعي فضولي أنني طلبت من زملائي السعوديين مساعدتي لزيارة

عدد من المعالم الأثرية والتاريخية في أبها، وكان من بين هذه المعالم التي زرتها :-

١- قرية الحبلية:

قرية تراثية وأثرية، تعد من أهم وجهات السياحة في أبها التاريخية. سميت بهذا الاسم لأن وسيلة الانتقال منها وإليها كانت عن طريق الحبال، ويطلق عليها أيضا القرية المعلقة؛ لموقعها أسفل جرف صخري ينحدر حوالي (٣٠٠م) من حافة جبال السروات الشاهقة الارتفاع، ويتجاوز الألفي متر عن سطح البحر، مما يمنحها وضعية معينة، وكأنها معلقة. وقد شرفت بزيارة هذه القرية أكثر من مرة وبعضها كان بصحبة الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس.

٢- قرية المفتاحة:

قرية سياحية وثقافية. يقام فيها الفعاليات الخاصة بالفنون التراثية، والتشكيلية، وفنون المسرح، واستراحة للفنانين، ومجموعة من المتاجر والأسواق، التي تعرض المنتجات، والمصنوعات اليدوية، وتضم القرية صالات لعرض اللوحات الفنية، تهدف إلى تنشيط الابداعات الفنية والثقافية، والأعمال اليدوية الأصيلة.

٣- قصر شدا، وقلعة شمسان التاريخية:

يطلق على قصر شدا "القصر الأبيض" ويعد من أبرز معالم السياحة التاريخية في أبها، كان قديما مقر للإمارة بمنطقة عسير، والآن تم تحويله لمتحف للموروثات الشعبية. تعد قلعة شمسان التاريخية من أقدم وأهم معالم أبها التاريخية الباقية حتى الآن، وتتمتع بأهمية تاريخية عظيمة، استخدمت كثكنة عسكرية لفترات من تاريخ المملكة

العربية السعودية . وتقع القلعة إلى الشمال الشرقي من مدينة أبها، شيدت على قمة جبل شمسان، الذي يبلغ ارتفاعه حوالي (٢٣٠٠) متر فوق سطح البحر، كانت تسيطر على الطريق القادم من عقبة شعار شمالاً، ومن هنا، فإن تشييد القلعة في هذا الموقع له أهميته الاستراتيجية. ويوجد بهذه القلعة ثلاثة أبراج مطلة على المدينة. ومن يتجول في هذه المواقع الكثيرة التي تحيط أبها يجد آثار الحصون والقلاع التي بناها الأتراك من أجل السيطرة على منطقة عسير، (١٢٨٩.١٣٢٧هـ/١٨٧٢.١٩١٨م) والتصدي لحروب القبائل التي كانت تنور بين حين وآخر.

ولا أنسى أنني تجولت في عدد من أحياء أبها باحثاً عن سكن ملائم لي ولأسرتي عند استقدامها، فوجدت تفاوتاً في الأحياء والمساكن من حيث العمارة، ومن ثم التفاوت في الأسعار. وعن تفاصيل ذلك فقد يطول الشرح ولكن من يتجول في مدينة أبها وما حولها، خاصة في مناطق الامتداد العمراني خارج منطقة الحزام يشاهد العديد من القصور الصغيرة والكبيرة . والناظر إلى بيوت أبها يجد التعدد في طوابق البناء، والجودة في التشييد والتزيين والتخطيط من الداخل والخارج، فضلاً عن تزويد المنازل بالكهرباء، والماء، والأثاث، ثم تصريف المجاري، فلا تخلو البيوت من هذه الخدمات. ولاحظت من جولاتي العديدة ومشاهداتي أن مدينة أبها تشتمل على عدد من المراكز والمناطق التابعة؛ وأهمها مركز حجلأ أو مدينة سلطان، ومركز الشعف أو المسقى، وأيضاً مركز السودة، ومركز طيب، ومركز بللسمر، ومركز بللحمر، ومركز تنومة.

وتتعدد الأحياء بمدينة أبها فتضم حي المفتاحة، وحي القرى، وحي محلة مناظر، وساحة سوق الثلاثاء، وحي نعمان والربوع، وساحة البحار، وحي الخشع، وحي النصب، وحي القابل. وبالنسبة لشوارع أبها فقد حملت أسماء ما بين أعلام دينية أو تاريخية أو سياسية أو ثقافية. وللأعلام الدينية حضور واضح، فهناك أعلام الصحابة والتابعين (رضى الله عنهم) وغيرهم مثل: خالد بن الوليد، وعمرو بن أم مكتوم، وخزيمة بن ثابت، وأبو هريرة، والوليد بن عقبة، ونمير الخزاعي، وعامر بن شراحيل، وهناك أسماء أعلام تاريخية وسياسية منهم عمر بن عبد العزيز، والمعتصم، ومن القادة ابن المهلهل، ومن أئمة المملكة العربية السعودية وملوكها الإمام محمد بن سعود، والملك عبدالعزيز، والملك سعود، والملك فيصل، والملك خالد، والملك فهد، والملك عبد الله، ومن الشعراء نصيب بن رباح، ومن العلماء الشيرازي، وابن النفيس، وابن دقماق.

وشاهدت في أبها مختلف أنواع الفنادق بغرض الإقامة السياحية، وعدداً من المراكز السكنية التي يستأجرها البعض من المقيمين العاملين أثناء فصل الشتاء، ومن المصطافين أثناء فصل الصيف، وهنا أذكر أنني سكنت ما يقرب من أربع سنوات

من بداية رحلتي في أبها في مركز العزيزية للشقق المفروشة، ثم في مركز أهلاً، وذلك قبل أن أنتقل للإقامة في عمارة الشيخ يحيى بن مستور. ولا تقتصر أبها على المساكن الحديثة الخاصة وإنما يوجد بها الكثير من المباني الحكومية الحديثة الخاصة بإدارات ومؤسسات مختلفة، وتفاوتت تلك المباني في جودة التصميم وروعة التخطيط، ومن تلك المباني، مبنى إمارة منطقة عسير، ومباني المحكمة الشرعية، ومباني الهاتف والاتصالات السعودية، وغيرها.

وهناك كثير من المباني التجارية الحديثة الخاصة ببعض الأغنياء والتجار سواء كانوا أفراداً أم شركات، مثل أسواق أبها والخميس التجارية، والفنادق الرئيسية الكبرى، كفندق انتركونتيننتال بالسودة، وأبها بالاس. ومباني البنوك المختلفة مثل: بنك الرياض، والبنك الأهلي، والبنك الفرنسي، والبنك العربي الوطني وغيرها، إلى جانب مبان أخرى عديدة خاصة بالمطاعم، وبيع المواد الغذائية، أو الملابس والأقمشة.

ومدينة أبها على هذا النحو من التنوع في الأنشطة يعكس أنها كانت مدينة واعدة، وفي الوقت نفسه مدينة حيوية متطورة، وكان من الأمور التي لفتت انتباهي، ذلك القدر من الأيدي العاملة التي تقوم على أداء ممارسة جميع الأعمال والخدمات. ولم تكن الأعمال في السابق مقصورة على الرجال فقط، وإنما شارك الأطفال والنساء في مزاولة هذه المهن، وكانت حرفتا الرعي والزراعة أكثر المهن التي كان النساء والأطفال يعملون بها. ومن يتجول اليوم في أرجاء حاضرة أبها وما حولها سيجد الأيدي العاملة التي قدمت إلى البلاد من جميع دول العالم، وسيجد منهم مئات الفئات كل حسب جنسيته أو مهنته، وسيلاحظ فيهم أصحاب الشهادات العليا المتخصصة، وأصحاب شهادات الدبلوم أو أصحاب الخبرات. ويحسب لحكومة المملكة العربية السعودية أنها وفرت كل الخدمات اللازمة، وكافة أنواع الرعاية سواء للمواطنين أو للمقيمين. فلو نظرنا إلى مستوى الرعاية الصحية في أبها لوجدناها تضاهي المدن الكبرى في المملكة العربية السعودية من حيث عدد المستشفيات والمراكز الصحية ومنها مستشفى عسير المركزي، ومستشفى الأمراض الصدرية والحميات. ومستشفى النساء والولادة. ويوجد بها أيضاً مراكز صحية أخرى عديدة مثل مركز طب الفم والأسنان، ومركز الطب الشرعي والكيمياء، ومركز الكلى الصناعية، ومركز مرضى السكر، وعيادة مكافحة التدخين، ومركز العلاج الطبيعي والتأهيل الطبي، وأقسام مكافحة نواقل المرض ومراقبة الأمراض المعدية وغيرها.

ومن أبرز الخدمات التي اهتمت بها الحكومة السعودية ما تعلق بالجوازات والأحوال المدنية، وذلك من أجل الوفاء باحتياجات العدد الكبير من المقيمين داخل أرجاء البلاد، وتعددت أقسام إدارة الجوازات فشملت أقسام الأجانب، والإقامة، والجنسية،

والمحاسبة، والتحرير، والتصوير والبصمات، وقسم ممنوعين. ولا يفوتني أن أسجل هنا أنني تعاملت مع جوازات منطقة أبها خلال مدة إقامتي على المستوى الشخصي وعلى المستوى العائلي وكانت أغراضنا تتم بسلاسة لافتة للنظر ولا أنسى أيضاً معقب الجامعة الذي ينهى أعمالنا في إدارة الجوازات وهو عبد الله قمشع القحطاني^(١).

رابعاً: خلاصة القول :

وفي نهاية تسجيل تجربتي، فإنني أعتز بأنني ساهمت بقدر معين، في إثراء العملية العلمية والتعليمية في أبها خلال عشر سنوات، بكل حب، وعطاء، وصدق. مما ساهم في استمرار جسور الصداقة بيني وبين زملائي من أعضاء هيئة التدريس بالمملكة، وأيضاً مع الخريجين من طلابي، وأحمد الله أن هذه الصداقة مازالت مستمرة في بعضها حتى الآن، رغم مرور ما يقرب من عشرين عاماً على عودتي إلى البلاد. ويقيني أن الدور الذي قام به الأستاذ الدكتور غيثان بن علي بن جريس عبر هذه السنوات لتيسير كافة السبل حتى نتفرغ لأداء مهامنا العلمية، وأيضاً دوره في خلق المناخ الإنساني بيننا جميعاً، فنشأت علاقات علمية من خلال المشاركة في اللجان المتنوعة للقسم، وعلاقات إنسانية من خلال المشاركة والتعاون الإنساني فيما بيننا، والعلاقات الاجتماعية التي كان يحرص عليها بانتظام، فتنوعت اللقاءات خارج الإطار الرسمي، ومن هنا بقيت العلاقة، واستمرت الذكرى، وأصبحت أبها في عقلي وقلبي^(٢).

(١) أشكرك يا دكتور وديع على هذا السرد التاريخي الذي قام على التجربة الشخصية والمشاهدة وكنت أتمنى أنك توسعت في تاريخ الناس في أبها وعسير كما عرفتها وعاصرتها . (ابن جريس) .

(٢) هناك أساتذة كثيرون من دول عربية شقيقة جاءوا إلى أبها، وعسير، وجنوب المملكة العربية السعودية منذ سبعينيات القرن (١٤٠هـ/٢٠م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٤٢هـ/٢٠٢٠م). وأمل أن يرصد تاريخهم، وكيف أثروا وتأثروا من تعايشهم مع سكان جنوب المملكة العربية السعودية . وأنت يا دكتور وديع واحد منهم . وأمل أن نرى بعض أولئك الأساتذة الوافدين فيدونوا لنا مشاهداتهم وتجاربهم كما فعلت . وتستطيع يا دكتور وديع أن تبلغ بعض زملائك المصريين الذين زاروا بلادنا وعملوا فيها، فيكتبوا لنا شيئاً من التاريخ الذي عرفوه وشاركوا فيه وعاصروه . (ابن جريس) .